رأي القدس

عملية تل ابيب ومفاجآتها

■ اربكت العملية الاستشهادية التي وقعت في قلب مدينة تل ابيب يوم امس جميع الأطراف المعنية بالتهدئة في منطقة الشرق الأوسط، وخاصة الحكومتين الامريكية والاسرائيلية، مثلما اربكت قيادة السلطة الفلسطينية.

فالعملية التي فاجأت الجميع من حيث توقيتها، وحجم الخسائر البشرية الناجم عنها، (عشرة قتلى وعشرون جريحاً) أحيت حالة الهلع والرعب التي سادت المجتمع الاسرائيلي، وانعكست سلباً على الاقتصاد والأمن وكل مناحي الحياة الاخرى في الدولة العبرية.

التوقيت على درجة كبيرة من الأهمية، ليس من حيث كون العملية وقعت في وقت تعيش فيه الدولة العبرية فراغاً وزارياً لعدم تمكن ايهود أولمرت رئيس الوزراء المكلف من تأليف الحكومة حتى الآن بعد اسابيع من فوز حزبه الجديد «كاديما» بالنصيب الأكبر من مقاعد الكنيست، وانما لأن السلطة الفلسطينية تعيش أزمة حقيقية في الجانب الآخر بسبب الحصار الدولي اولا، والصدام غير المعلن بين رأسيها، رئيس السلطة ورئيس الوزراء.

وكان لافتاً، التناقض الكبير بين موقفي الرأسين تجاه عملية تل ابيب، فبينما أدانها الرئيس عباس بقوة، رأت فيها حكومة «حماس» رد فعل طبيعيا على جرائم القتل والاغتيالات والتوغلات التي استهدفت نشطاء فلسطينيين في الضفة وغزة، وتصاعدت في الأيام الأخيرة.

ايهود اولمرت هدد بالرد في الوقت المناسب، والطريقة المناسبة، ولا نعرف ما اذا كان اجتياح الدبابات الاسرائيلية لمدينة نابلس يوم امس جزءا من هذا الرد ام لا، ولكن من المرجح ان تكون اعادة احتلال قطاع غزة هي احد الخيارات في ظل عمليات التحريض الاعلامية والشعبية الاسرائيلية التي سادت المجتمع الاسرائيلي طوال الفترة الماضية.

اعادة احتلال غزة ربما تؤدي الى انهيار السلطة الفلسطينية، واعتقال قيادات حركة المقاومة بفروعها كافة، ولكنها لن تنجح في وقف المقاومة او القضاء على بناها التحتية، بل ربما تؤدي الى نتائج عكسية تماماً.

ولعل الرد الامريكي على العملية هو من أغرب الردود على الاطلاق، وأكثرها جهلاً بالاوضاع على الأرض، فالمتحدث باسم البيت الابيض حذر الحكومة الفلسطينية من العواقب الوخيمة لأي دعم من اعضائها لاعمال «ارهابية» على غرار عملية تل ابيب، ولاحظ المتحدث سكوت مكليلان ردود فعل المجموعات «الارهابية» الفلسطينية التي «تصفق» للعملية، وبينها حركة «حماس» والادانة السريعة من جانب الرئيس عباس.

ولا نعرف ماذا يمكن ان يفعل البيت الابيض لحكومة «حماس» اكثر مما فعل، فقد أوقف عنها المساعدات المالية، ومنع اي تعامل اقتصادي او تجاري معها، وحظّر على المسؤولين الامريكيين اي لقاء مع مسؤوليها، الشيء الوحيد الذي تبقى هو ان يشكل البيت الابيض مجموعة اغتيالات خاصة تنضم الى المجموعات الاسرائيلية وتبدأ في اغتيال مسؤولي الحركة وتصفيتهم جسدياً بعد حصارهم سياسياً.

حكومة «حماس» ليست مسؤولة عن العملية هذه، وجناحها العسكري ما زال ملتزماً بالهدنة التي التزمت بها قيادته السياسية قبل عام، وكون الحكومة لم تدنها فهذا امر لا يعني انها تؤيدها وتدافع عنها.

العمليات التي تستهدف المدنيين مدانة، ولكن ربما يفيد تذكير البيت الابيض والمتحدث باسمه، ان جون بولتون مندوب امريكا في مجلس الامن، رفض ان يصدر المجلس مجرد بيان يطالب اسرائيل بوقف عدوانها على الشعب الفلسطيني استجابة لطلب تقدم به الرئيس عباس الذي كان اول من أدان وبكل اللغات عملية تل ابيب. فليس من المنطقي ان تعطي واشنطن الضوء الاخضر للارهاب الاسرائيلي ليقتل من يشاء من الاطفال والمدنيين في غزة ونابلس وجنين، وتحميه بالفيتو في مجلس الأمن ثم تطلق التهديدات للفلسطينيين، حكومة وشعباً، اذا لم يدينوا وبأقوى العبارات عملية تل ابيب.

الغارة العالمية المنظمة على العالم الإسلامي

د. عبدالوهاب الافندي *

■ في مطلع التسعينات اعترضت وزارة الخارجية البريطانية على مطالب تقدم بها عدد من نواب البرلمان البريطاني وبعض الجمعيات الطوعية لاتخاذ إجراءات عقابية ضد السودان عبر مجلس الأمن. وكان رد الوزير المسؤول على من تقدم بهذه المطالب وقتها أن مجلس الأمن قد فرض خلال فترة وجيزة عقوبات ضد العراق وليبيا، وإن اتخاذ خطوة مماثلة في حق دولة عربية مسلمة ثالثة قد يعطي الانطباع بأن الغرب يشن حملة مبرمجة ضد العرب والمسلمين.

هذا التمنع البريطاني لم يطل كثيراً، حيث قام مجلس الأمن في عام 1996 بفرض عقوبات ضد السودان على خلفية عملية محاولة اغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا في العام الذي سبق. وكانت الولايات المتحدة قد سبقت بإضافة السودان إلى قائمة الدول الداعمة للإرهاب (وهي في معظمها دول إسلامية) في عام 1994. وقد تطورت الأمور سريعاً بعد ذلك، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) عام 2001، حيث لم تعد الدول الغربية تلقي بالاً لمثل هذه الاعتبارات. فقد بادرت الولايات المتحدة بغزو أفغانستان في تشرين الاول (أكتوبر) من عام 2001، بدعم دولي قوي، ثم أعقبت ذلك بغزو العراق عام 2003 بدعم دولي أقل. وهي مشغولة هذه الأيام بإجراءات تستهدف إيران والسودان وسورية، إضافة إلى قيامها وحلفائها الغربيين بفرض عقوبات ضد الفلسطينيين.

يأتي هذا في وقت كثر الحديث فيه عن الإرهاب كأخطر تهديد يواجه الغرب عموماً والولايات المتحدة خصوصاً، وكثر فيه أيضاً الربط بين الإسلام والإرهاب. وقد كثر أيضاً الجدل حول بواعث الإرهاب ومبرراته، وكان هناك ترجيح لكون بواعث الإرهاب ترتبط بغضب المسلمين من السياسات الغربية، وخاصة السياسات الظالمة تجاه الفلسطينيين. وقد قبلت الإدارة الأمريكية جزئياً بهذا المنطق حين قررت على أعلى المستويات إطلاق حملات لكسب «عقول وقلوب» المسلمين وخطب ودهم كجزء من حملتها لمكافحة الإرهاب.

ولعله من الطريف أن وزير الخارجية البريطاني الأسبق دوغلاس هيرد، الذي دار في عهده الجدل الذي أشرنا إليه أعلاه حول العقوبات على السودان، كان أيضاً ممن قلل من عواقب السياسات الغربية الجائرة ضد المسلمين. وفي تصريح له مشهور عقب حرب تحرير الكويت ذكر هيرد من كانوا هددوا بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا وطئت أقدام القوات الأجنبية أرض الحرمين الشريفين وشنت منها الحرب على العراق، ذكرهم بأن القوات وصلت وأقامت في الجزيرة العربية، وشنت الحرب على العراق، ولم يحدث شيء مما خوف منه الناس، سواء أكان ذلك مظاهر احتجاج شعبي أو إسقاط أنظمة صديقة أو ما إلى ذلك. ولكنني استمعت إلى نفس السيد هيرد وهو يعقب على خطاب ألقاه رئيس الوزراء الحالي توني بلير، ويسفه مقولة بلير بألا علاقة لما تعرضت له بريطانيا من أعمال إرهابية وسياسة حكومة بلير المؤيدة لغزو العراق والمساهمة النشطة فيه. ولا أدري إن كانت مقولة هيرد تعبيرا عن صحوة ضمير وإدراكا لما كان لا يعترف به في السابق، أم مجرد كيد سياسي ضد حكومة حزب مناوئ.

مهما يكن فإن التحركات الغربية الحالية تعطي الانطباع الذي كان هيرد يتخوف منه حول حملة منظمة تستهدف العالم الإسلامي، وأهم من ذلك فإن من يتولون كيد هذه الحملات لم يعودوا يحفلون بهذا الأمر أو يتخوفون منه. فلو كان هناك أدنى اهتمام بمشاعر الأمة الإسلامية، أو بأي اعتبارات إنسانية، لكان في مضاعفة الحصار على الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال أمر يحاذر منه كل عاقل. وفي الحديث أن إمرأة دخلت النار لأنها حبست قطة فجوعتها حتى الموت. وإذا كان في تجويع القطة الواحدة ما يورد مورد التهلكة، فما بالك بتجويع شعب بكامله كما حدث في العراق من قبل، ويحدث في فلسطين اليوم، وينتظر أن يحدث في إيران قريباً؟

هذا الاستهداف يذكر بأسوأ عهود الاستعمار، حيث تكالبت الدول على العالم الإسلامي، واستباحت حماة، حيث دخلت العلاقة بين الطرفين الآن في حلقة مفرغة، تقوم على الإخضاع والابتزاز، ثم الاعتبار رفض الخضوع جريمة تستحق العقوبة. فالفلسطينيون مطالبون اليوم بإعطاء المشروعية لسلب حقوقهم، وإذا رفضوا اعتبروا مارقين. وبالمثل فإن تملك التقنيات التي تسهل الدفاع عن النفس ضد الغزو، أو مجرد شبهة تملكها، تعتبر جريمة يعاقب صاحبها، وهو تعبير آخر عن عدم الثقة في المسلمين. بل ان كثيرا من المسلمين والعرب استبطنوا هذه المواقف التي تضعهم في مكانة من تجب الوصاية عليه كونه دون مستوى بقية البشر. فالاعتراض على غزو العراق استند على حجة أن الدعوى بتملك أسلحة دمار شامل كانت كذبة، كأنه لو صح تملك العراق لهذه الأسلحة أو أي أسلحة أخرى، وهو حق مشروع لكل دولة ذات سيادة، وعلى أساسه تم اختيار الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن، فإن هذا يبرر الغزو. وبالمثل فإن إيران تحتج اليوم بأنها لا تريد تملك أسلحة نووية، كأن امتلاك هذه الأسلحة جريمة. في حين أن الجريمة الحقيقية هي عجز هذه الدول عن الدفاع عن نفسها ضد الهيمنة والغطرسة، وقابليتها للابتزاز والاستعمار.

لماذا إذن كل هذا التجرؤ على اضطهاد المسلمين والاستخفاف بمشاعرهم، وعدم مراعاة الاعتبارات الإنسانية في التعامل مع قضاياهم؟ والإجابة بسيطة، وهي أن المسلمين هم أول من ينكر إنسانيته ولا يضع لها اعتباراً. حصار العراق مثلاً كان مطلباً عربياً إسلامياً قبل أن يكون مطلباً أمريكياً غربياً. وحصار العراق ما كان يمكن أن يتم وكل الدول المجاورة له دول مسلمة بدون تواطؤ كامل من هذه الدول، وبالمثل الحصار ضد ليبيا في السابق وسورية وفلسطين اليوم وإيران والسودان وغيرها غداً. بل إنه كان هناك كثير من العراقيين، إن لم تكن هناك أكثرية، تؤيد حصار العراق وتجويع أهله وتجد له المبررات. وبالمثل فإن الحصار العسكري على العراق وقصفه ثم غزوه فيما بعد تم بمباركة عربية ودعم عربي إسلامي، وعبر أراض وأجواء عربية. بل إن إيران التي تشكو اليوم من استهداف غربي محتمل لا تجد غضاضة في التفاوض مع الأمريكيين حول أفضل السبل لتثبيت احتلالهم للعراق وجني ثمار ذلك الاحتلال. يمكن إذن أن يقال ببساطة ان الأمة الإسلامية هي التي تحاصر نفسها عبر «وكلاء» أجانب.

هناك من يقول ان المسؤول عن كل هذا هم الحكام المستبدون. فكل الدول التي واجهت الحصار أو الغزو أو وضعت على لائحة من يدعم الإرهاب (العراق، السودان، ليبيا، سورية) هي دول تحكمها أنظمة غير ديمقراطية ارتكبت الكبائر في حق شعوبها قبل أن تستهدف مصالح الغرب. بل إن زعماء هذه الدول صرحوا بالقول والفعل عن استعدادهم لخدمة مصالح الأجنبي والتخلي عن كل مالا يرضي عنه (من برامج تسلح أو دعم لثورات وغير ذلك) مقابل أن يرضى عنهم السادة الأجانب ويتركوهم ليمارسوا استبدادهم في حق شعوبهم. ولا شك أن هذا اتهام صحيح في مجمله. ففي أضعف الإيمان فإن هذه الأنظمة هي التي بررت للاستهداف الأجنبي ووفرت له الذرائع بممارساتها المخجلة في حق شعوبها. ولكن يبقى عجز هذه الشعوب عن اقتلاع هذه الأنظمة في حد ذاته مدعاة للتأمل.

صحيح أن هذه الأنظمة أنظمة قهر واستبداد، يستبد بأمرها حاكم فرد أوحد، وهي تقمع الرأي الآخر وتحظر الأحزاب وتحجم مؤسسات المجتمع المدني ولا تسمح بأي نشاط لا ترضى عنه في أي مجال، حتى في مجال الاقتصاد. ولكن هذا الحاكم الفرد يكون في غالب الأمر قابع في قصره، بعيد عن الناس. والذي يمارس القمع فعلاً على الأرض، ومن يبرر له وينظر له ويزينه، هم الآلاف من الجلاوزة، والإداريين والقضاة والمحامين والصحافيين والجامعيين والكتاب والعلماء ورجال الدين وكوادر أخرى لا حصر لها. وكل واحد من هؤلاء يؤدي دوره المرسوم الذي لا تكتمل الحلقة إلا به بهمة ونشاط، وبالطبع كل له مبرراته من وجهة نظره.

الساسة الغربيون إذن لهم أيضاً مبرراتهم، فهذه أمة ميتة استهدافها مبرر ومشروع كما كان استعمارها في الماضي جائزاً ومطلوباً. ولا لوم على إنسان وجد صيداً فاصطاده، بل يكون اللوم عليه لو لم يفعل.

* كاتب وباحث سوداني مقيم في لندن

هل ما زال حكم العراق عربياً؟

هارون محمد *

■ في العراق الحقيقي العريق والأصيل، العراق العربي والحضاري لا يمكن ان يكون رئيسه بيش ميركه، يأتي بثلاثة الاف وخمسمائة من ميليشيات حزبه يجمعهم من الجبال والكهوف والمغارات وينشرهم في حي الجادرية الملحق بالمنطقة الخضراء كحراس ومرافقين وطواقم حمايات، ويمنح كل واحد منهم راتباً شهرياً يتراوح من الف الى خمسة الاف دولار امريكي حسب الأقدمية في التمرد والقتال ضد العراق، وعدد المشاركات في اعمال التخريب والعصيان، هذا اضافة الى الطعام والمنام المجانيين والاقامة في القصور والفلل، وكثير من هؤلاء يرى بغداد لأول مرة وهي على خرابها وكآبتها في زمن الاحتلال تبهر القادمين الغرباء عنها وهم الذين لم يشاهدوا طيلة حياتهم السابقة غير قرى وقصبات نائية ومعزولة على الحدود مع ايران، حتى ان موظفي الرئاسة وأغلبهم من أكراد اوروبا عانوا كثيرا لتكييف أفراد وعناصر هذه المجموعات مع بيئتهم الجديدة وينقل أحدهم عن قائد مجموعة استقدم من قلعة دزه وحدد له واجب حراسة على جسر الجادرية انه وقف وتطلع الى مبنى رئاسة جامعة بغداد بطوابقه الـ15، وسمع وهو يقول في حيرة لجنوده بلغة ساخرة سورانية كردية، نصها بالعربية بعد ترجمتها: من بنى هذا الجامع مجنون..

كل منارات الجوامع مدورة بينما منارة هذا الجامع بنايات فيها شبابيك وزجاج وأضوية قليلة وليس فيها (سماعات) مكبرات صوت! فقد اختلط الأمر عليه ولم يعد يفرق بين جامعة وجامع. والانصاف يدعونا الى عدم لوم هذا المرافق (الرئاسي) على جهله وسذاجته، فالرجل عبر عن حقيقة لم يقدر على هضمها واستيعابها وهو القادم من الاحراش والغابات والوديان، ولكن ماذا نقول لرئيسه الذي شاهد قائد حرسه وهو يوعز لجنوده بالتحرك والتهيؤ للقتال والاستعداد للمواجهات (جرت هذه الحادثة قبل الانتخابات الاخيرة بيومين) ولما استفسر سيادة الرئيس عن اسباب هذه التحركات العسكرية حول قصره، اجابه قائد الحرس وهو في اشد حالات التوتر والفزع..

سيدي لقد سمعنا اصواتاً غريبة في منطقتنا تدعونا للحذر والريبة منها، فضحك الرئيس وقال لقائد حرسه: انت لا تفهم في السياسة، اذهب الى هذه الاصوات واجمعها لصالح قائمتنا! والحكايات كثيرة من هذا النوع، والنكات اكثر، ورغم المحنة والمأساة الضاربة في العراق، فان (البغادة) وهم البغداديون كما يسمون شعبياً يتندرون بهذه الحكايات والنكات ويتناقلونها في مجالسهم ولقاءاتهم واتصالاتهم الهاتفية، تبديداً للهموم التي هجمت عليهم منذ ثلاث سنوات، وصارت عصية على الطرد، بل انها تزداد شدة يوماً بعد يوم، وآخر هذه الهموم ان الائتلاف الشيعي الذي فاز في الانتخابات الاخيرة بالارهاب والتهديد بالقامات (جمع قامة) وهي نصف سيف تستخدم للتطبير والتزوير واحتلال المراكز والمحطات الانتخابية، رشح السيد علي زندي أديبي رئيساً للحكومة العراقية بديلاً عن ابراهيم أشقري (الجعفري) الذي يواجه اعتراضات وصعوبات من داخل الائتلاف وخارجه لتجديد رئاسته.

والمثير في هذا الأمر ان وزارة العدل الموقرة في الحكومة الانتقالية الحالية (المنتهية ولايتها) أصدرت قانوناً قبل يومين ينص على: يحظر على المتجنس بالجنسية العراقية تسلم وظيفة سيادية الا بعد مرور عشر سنوات على تجنسه، وإذا طبق هذا القانون نصاً فان ذلك يعني حرمان عدد كبير من الوزراء والنواب ووكلاء الوزراء والسفراء والمدراء العامين والمستشارين ورؤساء الدوائر الحكومية وهؤلاء يشغلون وظائف سيادية كما هو معروف من المواقع والمناصب التي يحتلونها الآن، لأن اغلبهم حصل على الجنسية العراقية عقب الاحتلال، وقد تحدث أزمة في ايجاد مسؤولين وستعاني قوات الاحتلال من مشكلة في العثور على عراقيين حقيقيين يقبلون التعاون معها ويوافقون على تولي الوظائف والمواقع السيادية.

وصحيح ان من يسمون بالحكام والرؤساء والوزراء والمسؤولين في العراق اليوم هم مستخدمون ينفذون تعليمات وأوامر المستر زلماي خليل زاد والجنرال كيسي ويضربون تعظيم سلام لهما، ولكن ما يحزن ويغيظ انهم يحسبون انفسهم على العراق، ويقدمون شخصوهم على اعتبار انهم عراقيون وعرب، والمصيبة انهم مع عدائهم وكراهيتهم للعروبة راحوا يستخدمون اسماء والقاباً عربية وكثير منهم انتسبوا الى عشائر وقبائل وبيوتات وأسر عربية، فالشاهي صار ربيعياً، وكاملي اصبح مالكياً، وصولاغي تحول الى زبيدي، وأصفهاني لقب نفسه بالبياتي، والبائي طائي، واليزدي أسدي، وراشدي الراشد، ولاري قبانجي، والقائمة تطول وتطول، وعندما تسألهم اين قبور آبائكم وأجدادكم في العراق يلوذون بالصمت ولا يجرأون على قول الحقيقة، ذلك ان قبور الاجداد ومواضعها هي الدليل والبرهان على أصل ونسب الانسان في هذا المكان، والعراقي معروف بحرصه على دفنه عند موته في ارضه وفي مقبرة عائلته سواء كان شيعياً او سنياً او مسيحياً، وكثيراً ما يلقى ذوو الفقيد او المقتول او الشهيد عناء في نقل الجثمان من مدينة الى اخرى التزاماً بالتقاليد والاعراف.

ولمناسبة الحديث عن القبور ورمزيتها، نورد الحكاية التاريخية الموثقة التي تجسد العلاقة بين السلف من الاموات والخلف من الاحياء، في بيان الاصالة الوطنية، فقد استدعى المرحوم عبدالكريم قاسم وكان رئيساً للوزراء في ايلول (سبتمبر) 1959 الى مكتبه في وزارة الدفاع كلاً من الملا مصطفى بارزاني والشيخ احمد آغا الزيباري زعيم قبيلة الزيباريين الكردية المعروفة لاجراء مصالحة بينهما إثر تفاقم الخلافات والمعارك بين اسرة البارزاني وقبيلة الزيبار، بسبب محاولات الملا مصطفى الاستحواذ على اراضي الزيباريين وبسط نفوذه عليها، علماً بان قرية بارزان هي تابعة ادارياً لقضاء الزيبار معقل الزيباريين. وفي بداية اللقاء وقف الشيخ احمد الزيباري وهو للعلم (عم هوشيار زيباري وزير خارجية حكومة جعفري ولكنه غادر قبيلته وعاش في كنف الملا مصطفى زوج شقيقته منذ صغره وانسلخ عن قومه) وخاطب الزعيم عبدالكريم قائلاً: انا جئت الى هنا احتراماً لإرادتك ورغبتك.. فهذا الرجل ـ واشار الى بارزاني ـ لا يستحق ان التقي او اجتمع به لأنه لا يساويني في الشخصية والمكانة والتأريخ، واحتج ملا مصطفى على هذا الكلام وطلب من الزعيم ان يحميه من الشيخ احمد، فرد الاخير يرحمه الله، لماذا تزعل من كلامي؟

وتوجه الى عبدالكريم قاسم وقال له: سيدي انت زعيم العراق اسأله ان يعدد أمامك كم جداً له ماتوا ودفنوا في بارزان؟

أما أنا يا سيادة الزعيم استطيع ان اذكر أسماء اثني عشر من اجدادي قبورهم ما تزال قائمة وشاخصة في الزيبار، وسيادتك رئيس حكومة ولديك سلطات تقدر ان تطلع على الحقيقة وتعرف من منا العراقي الاصيل والعراقي الوافد. وقد نقل محضر هذا الاجتماع الذي كتب بخط الرائد سعيد الدوري احد سكرتيري عبدالكريم قاسم من ديوان وزارة الدفاع الى المركز الوطني لحفظ الوثائق مع مراسلات ومخاطبات الزعيم ومحاضر اجتماعات رسمية وشعبيه اخرى عقب انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963، وتحدث عن هذه الواقعة الباحث الكردي رفيق بشدري في كتابه (أيها الكردي.. تعرف على عدوك) الجزء الثالث صفحة 345 الصادر في السليمانية بتأريخ 2000/12/12 كما مثبت عليه، وقد اغتيل الشيخ احمد الزيباري بعد اسبوعين من هذا اللقاء من قبل عصابة بارزاني.

وعندما يحجم ابراهيم الجعفري عن ذكر اسم ابيه وجده وعشيرته ويلقب نفسه بالجعفري (من المذهب الجعفري) ويتجاهل عبدالعزيز الحكيم اصوله غير العراقية ولا يستطيع ذكر اسم جد واحد له مدفون في العراق، وينكر علي يزدي ايرانيته وهو المواطن الايراني الذي كان يقدم كفالته للاجئين العراقيين امام الدوائر الرسمية والحكومية في طهران وقم والمحمرة لقاء اجور متفق عليها مسبقاً، ويعمد شخص اسمه الحقيقي رياضي مهندسي ويخطف اسم قبيلة عربية سنية تنتشر مضاربها ودواوينها في البادية الشمالية بين العراق وسورية، ويغير آخر اسمه ولقبه ويستبدله باسم آخر وينسب نفسه الى قبيلة بني مالك العربية العريقة ومشيختها في القرنة، وهناك المئات من هذه الحالات الشاذة والانتسابات المزورة، فان ذلك يعني ان شعوراً بالنقص عراقياً وعربياً يسيطر على هذه النماذج فتلجأ الى الادعاء والتزييف للتغطية على أكاذيبها وافتراءاتها، وللمعلومات ايضاً فان اربعة محافظين من أصل تسعة محافظين لمحافظات في منطقتي الفرات الاوسط والجنوب ما زالوا يحملون الجنسية الايرانية ويرفضون التخلي عنها، وهم في الاصل من الاسرى العراقيين (التوابين) الذين خانوا وطنهم وتجسسوا على رفاقهم وزملائهم ومنحت لهم الجنسية الايرانية وزوجوا بنساء ايرانيات بعد ان طلقوا زوجاتهم العراقيات غيابياً وخدموا في الاجهزة الايرانية.

وللمعلومات ايضاً فان تسعة من أعضاء الجمعية الوطنية هم ايرانيون بالجنسية والصفة والوظيفة، بعد ان تخلوا عن جنسيتهم العراقية وتحولوا الى ايرانيين منذ السبعينات والثمانينات، ومنهم واحد من الحلة اصلاً يحمل الآن رتبة عميد في الحرس الثوري وكان ضابطاً في الجيش العراقي برتبة رائد عندما أسر في حزيران (يونيو) 1982 في معارك البصرة وصار تواباً وعين مدرباً عسكرياً في الحرس ومن ثم نسب لفيلق بدر، وآخر كان يعمل مهندساً في دائرة اوقاف الناصرية هرب الى قم في اوائل الثمانينات واصدر منها مجلة طائفية ثم عين بوظيفة ضابط استخبارات في إطلاعات، وثالث من بابل فر من العراق الى ايران في نهاية السبعينات ثم ارسل الى الكويت عام 1984 ونظم عمليات اغتيال وتخريب فيها قبل ان يعود الى طهران وهو ما زال مطلوبا بمذكرات قضائية من الحكومات الكويتية والامريكية والفرنسية لتخطيطه هجمات ضد سفارتي فرنسا وامريكا في الكويت في ذلك الوقت، والستة الباقون من الطينة نفسها، واحدهم يرقد في مستشفى بالبصرة حالياً بعد ان تعرض الى محاولة اصطدام بسيارته مؤخراً، ووظف الحادث باعتباره محاولة اغتيال من (الارهابيين).

لذلك لا مكان للدهشة والاستغراب عندما يتسيد الخونة وأدلاء الاجانب والاغراب رئاسة العراق المستباح، ويحتلون وزاراته ومؤسساته ويتصدرون المنابر والمنصات ما دام الاستعمار الامريكي جاثماً على صدور العراقيين يقتل شبابهم وشيوخهم وأطفالهم ويدمر بيوتهم وأحياءهم ومدنهم ويسجن الالاف ويشرد الملايين منهم، العراق اليوم ليس عراقنا الذي نعرفه، وليس عراقكم ايها العرب، انه بلد آخر مشرع الابواب والحدود لكل من هب ودب يتسلل اليه أو يقتحمه بدعم المحتل والغازي، ولا غرابة بعد ذلك ان يأتي العجم والهنود والشعوبيون والمستكردون ومقطوعو الاصول، ويصبحوا رؤساء ووزراء ومسؤولين كبار، ولو اسما، وهم ذيول وأذناب الاحتلال فعلا..

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

فوضى فكرية وسياسية في عالمنا العربي

د. محمد صالح المسفر

■ اين ما وضعت عينك على خارطة عالمنا العربي تصاب بحيرة وألم يعتصرك من الداخل. العراق قطر عربي صنع تاريخ منذ عصور ما قبل الميلاد وتكاثرت عليه نوائب الدهر ولكن اشدها واكثرها إيلاما ما حل به في زماننا هذا بإياد واموال عربية وشعوبية وخونة من الداخل. هذا العراق يغرق في بحر من الدماء. علماؤه ومفكروه وكتابه وصناع نهضته الحديثة قتلوا غدرا او يلاحقون في كل مكان لقتلهم والعرب من حول العراق يتفرجون ليس ذلك فحسب ولكن ما برح البعض منا في كل محفل يردد عبارات مستوردة ومؤداها ان العراق قد تحرر من الدكتاتورية وأي دكتاتورية اعظم وأشنع وأشد إيلاما واكثر قسوة من دكتاتورية الاحتلال والعبث بقيم الإنسان واخلاقه امام كمرات التصوير العالمية. كل جوار العراق يتحركون لصنع مستقبل هذا القطر العربي بما يخدم مصالحهم ويحقق اطماعهم التوسعية نفوذا او مساحة والعرب المجاورون للعراق يتفرجون بل يقدمون مبررات لتلك القوى عن قصد او عن غير وعي بمخاطر المستقبل على هذه المنطقة.

السودان الشقيق يستنجد بالعرب لمساعدته في البقاء على وحدة اراضيه وسيادته واستقلاله ولكن لا مغيث ولا مستجيب وكأن السودان الشقيق لا يمت للعرب والمسلمين بصلة، امريكا تهدده بكل مكونات القوة وتشن عليه حربا إعلامية واقتصادية والتهديد باستخدام القوة العسكرية تحت مظلة الامم المتحدة.

فلسطين، وماذا اقول عن فلسطين؟ طالب الغرب ولحق بهم العرب المنظمات الفلسطينية بالانخراط في العملية السياسية واعتماد الديمقراطية ـ انتخابات بلدية وبرلمانية ـ اسلوب حياة والقضاء على الفساد الاداري والمالي فكانت الانتخابات البرلمانية وشهد بنزاهتها كل الاعداء إلى جانب الاهل والاصدقاء فماذا كانت النتيجة؟ خرج من قمقم فتح الفساد والإقطاع، ابو جعلان وابو زعلان وابو قرعان وابوصعبان ينذرون ويهددون الحزب الفائز ـ حركة حماس ـ إذا لم تتبع خطاهم وسياساتهم فلا امل في نجاحها في إدارة الضفة والقطاع وان الحصارات السياسية والاقتصادية ستتوالى على الحكومة المنتخبة وان الشعب الفلسطيني سيتضرر.

لم نكن نسمع الحديث عن منظمة التحرير الفلسطينية بعد اوسلو المشؤومة وكل الذي كنا نسمعه قبل فوز حركة حماس هو «السلطة الفلسطينية» وان المفاوض الفلسطيني صائب عريقات هو مفاوض عن «السلطة»، لكن بعد الانتخابات وفوز حماس اخذنا نسمع كثيرا عن منظمة التحرير وان عريقات هو المفاوض عن هذه المنظمة ، لقد علمنا ان «حماس» كانت من المطالبين بإصلاح منظمة التحرير وإعادة تنظيمها بما يتفق والمتغيرات في ميدان العمل الفلسطيني وكانت دعواتها تلك تصطدم باذن لا تسمع إلا ما يوحى إليها.

كل المعسكر المعادي للشعب الفلسطيني وفوز حماس، التقط الرسائل التي تحدث بها «كهنة فتح» وقاطع الحكومة الفلسطينية المنتخبة وقد سمعنا وشاهدنا احد «الكهنة» الذي كان يتولى منصبا عاليا وهو في حالة غضب عندما علم بنتائج الانتخابات قال: «خليهم يحكموا وحنشوف».

التقيت في الدوحة بأحد اركان فتح المهزومة والذي تحوم حوله الكثير من الشبهات، سألته، لماذا تحردون عن المشاركة في الحكومة التي ستشكلها حماس؟ قال مشروعهم الكفاح المسلح ومشروعنا العمل السياسي عبر المفاوضات ولن نحصل على شيء عن طريق الكفاح المسلح إنما يمكن ان نحصل على اشياء كثيرة عن طريق التفاوض وخارطة الطرق. قلت له: محمود عباس يقول: الامريكان لم يساعدونا على تحقيق اي إنجاز نقدمه لشعبنا وكذلك الاسرائيليين. قال لم اسمع بهذا القول، لقد افرجت اسرائيل عن اكثر من الف معتقل وسمحت بدخول العمالة الفلسطينية إلى «إسرائيل».

ولكن بعد الانتفاضة الثانية توقف كل شيء فماذا استفدنا من المقاومة المسلحة؟

قلت للفتحاوي: حماس اعلنت انها على استعداد لإجراء هدنة طويلة الاجل دون الاعتراف العلني بإسرائيل كما فعلت الكثير من الدول العربية بعد حرب 1948 وتدعو لاعادة تنظيم منظمة التحرير الفلسطينية لكي تلعب دورا رائدا في حركة العمل الوطني الفلسطيني وتقبل فكرة لقيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع وتؤمن بالعملية الديمقراطية وتداول السلطة سلميا فماذا تريدون بعد ذلك؟ لم نسمع بهذا من أي مسؤول صراحة من قادة حماس إنهم جماعة لا يعرفون العمل السياسي وعلى ذلك سيتعبون، وما هو العمل السياسي الذي تريدون؟ نريد الالتزام بكل الاتفاقيات التي وقعنا عليها والاعتراف بخارطة الطريق والاستمرار في المفاوضات. قلت لماذا لا تعطون فرصة للحكومة المنتخبة شعبيا وتشاركون معهم في إدارة الصراع ضد عدوكم المشترك، انت تعلم ان حزب العمل الإسرائيلي هو المؤسس لدولة إسرائيل وعندما فشل في الانتخابات لصالح حزب الليكود المتطرف دينيا وسياسيا ضد الشعب الفلسطيني لم يحارب بعضهم البعض كما تفعلون الان مع حركة حماس. لقد استعديتم عليها كل القوى الدولية بما في ذلك إسرائيل ولو انكم شكلتم معهم حكومة اتحاد وطني لوفرتم مشقة على الشعب الفلسطيني واحترمكم الناس في داخل فلسطين وخارجها ان العدو ينظر إليكم صقورا كنتم ام حمائم على انكم العدو الذي يجب القضاء عليه.

سألت رجل فتح المستقوي بعدوه اين اموال منظمة التحرير الفلسطينية التي جمعت على مدى اكثر من اربعين عاما؟ لماذا السلطة مديونة بـ1,8مليار دولار ولماذا لا يوجد في مالية الدولة الفلسطينية ولا دولار واحد وانتم تنعمون بكل الرفاه؟ وماذا عن الذين قبض عليهم على الحدود مع الاردن وبحوزتهم ملايين الدولارات. إنكم تخشون من حكومة حماس ان تكشف ملفات الفساد والمفسدين من «كهنة» فتح وينفضح امركم وتخشون ان تكشف حكومة الشعب الفلسطيني المنتخبة علاقاتكم السرية مع قيادات الكيان الصهيوني فلهذا تعملون على إفشالها.

تمتم محدثنا بكلمات وضحكات ساخرا او مستهزئا او منبهرا بما سمع من مراقب ليس فلسطينيا ظهر انه اكثر حرصا على مستقبل فلسطين والفلسطينيين اكثر من معظم «كهنة فتح».

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف: 5337920 فاكس: 5337928 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel: (9626) 5337920 **Fax